

الأمثال في القرآن الكريم

(76) قلت: الجواب محذوف، لاجل الوجازة، وهو قوله "خمدت". فإن قلت: فعلى هذا فبم يتعلق قوله: (ذهب إلى بنورهم)؟ قلت: هو كلام مستأنف راجع إلى بيان حال الممثل، وتقدير الكلام هكذا: فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوات الضوء، خائبين بعد الكدح من إيقاد النار. فحال المنافقين كحال هؤلاء، أشعلوا ناراً ليستضيئوا بنورها لكن (ذهب إلى بنورهم وتتركهم) في ظلمات لا يبصرون). وبكلمة موجزة: ما ذكرنا من الجمل هو المفهوم من الآية، واللايجاز بلا تعقيد من شؤن البلاغة. (1) فقوله سبحانه: (ذهب إلى بنورهم) بمعنى أن ذلك كان نتيجة نفاقهم وتمردهم وبالتالي تبدد قابليتهم للاهتمام بنور الحق (فتتركهم) في ظلمات لا يبصرون) أي في أهوائهم وسوء اختيارهم يتخبطون في ظلمات الضلال، لا يبصرون طريق الحق والرشاد. ترى أن التمثيل يحتوي على معاني عالية وكثيرة بعبارات موجزة، ولو حاول القرآن أن يبين تلك المعاني عن غير طريق التمثيل يلزم عليه بسط الكلام كما بسطناه، وهذا من فوائد المثل، حيث يؤدي معاني كثيرة بعبارات موجزة. ثم إنَّه سبحانه يصفهم بأنهم لما عطّلوا آذانهم فهم صمّ، وعطّلوا ألسنتهم فهم بكم، وعطّلوا عيونهم فهم عمى، قال: (صمّ بكم عمي فاهم لا يرفعون). والمراد من التعطيل أنهم لم يكونوا ينتفعون بهذه الأدوات التي بها تعرف _____ 1 - لاحظ الكشاف: 1|153.